الجمعة : 12/12/2008 الشيخ الطيب محمد خير

الشعال

سلسلة أسرتي

4- ((يا أبتِ– ابنٌ يخاطب أباه))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد هـ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ،وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة السادسة من سلسلة أسرتي فقد تحدثا لماذا هذه السلسلة وخطبتين ((يا بني)) و خطبتين ((يا ابنتي)) وعنوان خطبة اليوم :

((يا أبتِ - ابنٌ يخاطب أباه))

بداية : وردت كلمة (**يا أبتِ**) في القرآن الكريم ثماني مرات :

- مرةً على لسان سيدنا إسماعيل خاطب أباه فقال ﴿... **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصافات:102]

- ومرتين على لسان سيدنا يوسف خاطب أباه فقال : ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** ﴾[يوسف:4]

﴿... **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً** ...﴾[يوسف:100]

- وأربع مرات على لسان سيدنا إبراهيم خاطب أباه فقال:

﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً *يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً *يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً**﴾[مريم:42-43-44-45]

- ومرةً على لسان أحد ابنتي سيدنا شعيب خاطبت أباها فقالت: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴾ [القصص:26]

وإني أخاطبك الآن يا أبي فأقول ((**يا أبتِ**)) وأرجو من الله تعالى أن يحشني بخدمتك مع مَنْ قالها في القرآن ، وأن يؤدبني بآدابهم.

فأقول: **يا أبتِ!**

يا ذخري ويا سندي ويا تاج على رأسي ، ويا من منيتي يرضى ، فكم قدَّم وكم علَّم وكم ربَّى وكم أعطى .

كلُّ هذه الخطبة لأقول لك شكراً

شكراً لأمور خمسة

شكراً – أولاً–

لأنك أنفقت عليَّ وعلى إخوتي وأمي.

وإني قرأت أن الجاهليين قبل الإسلام ربما قتلوا أولادهم خشية إملاق أو من إملاق، وربما قتل الرجل ولده حتى لا يطعم معه على مائدته ، وإني لأعلم أن الغربيين ينفق أحدهم على ولده سنين معدودات ثم يتوقف عن النفقة عليه ويتركه وحيداً ، وإني لأعلم أن الشرقيين من غير المسلمين ربما أجهضوا نسائهم أو ربما منعوا الحمل عنهم حتى لا تشح عنهم الموارد الطبيعية فقتلوا الولد جنيناً أو قتلوه قبل أن يُصَّور ، وإني لأعلم يا أبي أن صديقاً من أصدقائي كان أبوه الموظف ينفق نصف ما يأتيه على ملذاته وشهواته ليُبْقِ النصف الأخر – وهو قليل– لتعيش منه الأسرة المؤلفة من سبعة أولاد وأمهم.

أما أنت يا أبي فكنت تقدم نفقتنا عل نفقتك، وحاجاتِنا على حاجاتِك ، ورغباتًنا على رغباتك فشكراً لك وجزاك الله عنا كل خير .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((**دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ،ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**)) [مسلم]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

((**مهما أنفقت على أهلك من نفقة فإنك تؤجر فيها، حتى اللقمة ترفعها في فيّ امرأتك**)) [النسائي وابن حبان]

وقال صلى الله عليه وسلم :

((**كفى المرء إثماً أن يضيع من يقوت**))

شكراً – ثانياً–

لأنك عدلت بني وبين إخوتي في العناية والرعاية والعطاء، فرب أبٍ فضَّل ابناً على ابن أو ابناً على بنت فأورثهم عداوةً وبغضاء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((**اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف**)) [البيهقي في السنن]

وعن الحسن قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى ، قال فلبث قليلاً فجاءت ابنةٌ له حتى انتهت إليه فمسح رأسها وأقعدها في الأرض.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فهلا على فخذك الأخرى)) فحملها على فخذه الأخرى فقال: ((الآن عدلت)) [ابن أبي الدنيا –حديث مرسل رجاله رجال الصحيح]

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن النعمان بن بشير قال: نحلني أبي نُحلاً فقالت له أمي عَمْرَة بنت رواحة : ائتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشْهِدْه ، قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: إني نحلت ابني النعمان نُحْلاً ، وإن عَمْرةَ سألتني أن أُشْهِدَك على ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لك ولد سواه؟ قال: قلت: نعم ، قال: فكلهم أعطيتهُ مثل ما أعطيتَ النعمان ؟ قال : لا قال: هذا جَوْر ، فأشهد على هذا غيري))

من هنا –أيها الإخوة –

قال جمهور العلماء يستحب للأب أن يسوي بين الأولاد – الذكور والإناث– في العطية فتعطى الأنثى مثلما يعطى الذكر لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((سووا بين اولادكم في

العطية، ولو كنت مؤثراً لأثرت النساء على الرجال)) [رواه سعيد بن منصور في سننه والبيهقي بإسناد حسن]

وقال الحنابلة ومحمد بن الحنفية :

للأب أن يقسم بين أولاده على حسب قسمة الله تعالى في الميراث ، فيجعل للذكر مثلَ حظ الأنثيين، لأن الله تعالى قسم بينهم كذلك وأولى ما يُقْتَدى به قسمةُ الله تعالى .

وعلى كلٍّ فالتسوية في العطية أمرٌ دعا إليه الشارع، وروي عن أحمد أنه يجوز التفاضل إن كان له سبب كأن يحتاجُ الولد لزمانته المرضية أو لعمى أو لقضاء دينه أو كثرة عياله أو للاشتغال بالعلم أو نحو ذلك .

وبين يدي الآن مسألتان أحب أن أقدمهما بين أيديكم -أيها الآباء- وأقترح عليكم فيهما اقتراحين حتى لا يقع بين أبنائنا شقاقٌ أو شحناءٌ نتيجة لعدم العدل بينهم في العطاء.

۞ المسألة الأولى:

أبٌ لديه ثلاثة أولاد مثلاً - أعطى ابنه الأول منزلاً لما زوَّجه، وأعطى الثاني مثله ، فلما وصل إلى الثالث افتقر الأب أو ربما يموت الأب قبل أن يكبر الثالث.

فما العمل؟

أحسن حل للأمر – فيما أرى والله أعلم

أنه إذا أنفق أحد الوالدين على أحد الأولاد نفقةً ذات قيمة بأن زَوجه ودفع له مهر الزوجة أو اشترى له بيتاً ، كان عليه أن يعوِّض سائر أولاده الآخرين بمقدار ما أنفقه على ولده الأول .

فإن اشترى للأول داراً فليشتر دارين اثنين للثاني والثالث بقيمة مساوية، فإن لم يكن الأبُ ذا يسارٍ يعينه على شراء ثلاثة بيوت ، فليشترِ داراً وليُسْكِن ابنه فيها على أن تكون عاريةً مردودة لا تمليكاً ولا يسجل لدى الدوائر الرسمية باسم الولد شيئاً حتى إذا مات الأب عاد مِلك الدار إلى الإرث وتقاسمه الإخوة والأخوات جميعاً. – والله أعلم–

المسألة الثانية:

ابنٌ يعمل عند أبيه في المعمل لمدة عشرين سنة أو ثلاثين، وهو القائم بخدمات المعمل وفي السنوات العشر الأخيرة كان هو المتابع لكل شؤون المعمل صغيرها وكبيرها ، بينما الأب لمرضه أو لسنه كان بعيداً عن العمل ، والابن يتقاضى على عمله مرتباً من أبيه، الآن إذا مات الأب، هل يكون هذا الابن أسوةً لإخوته في العطاء من هذا المعمل..؟

أحسن حلٍّ للأمر – فيما أرى والله أعلم–

أن يعطي الأب في أثناء الحياة ابنه العامل معه والقائم بجميع أمور المعمل أجراً كأنه شريكٌ مضارب، المال من الأب والعمل من الابن فيكون بذلك قد أنصفه في الحياة وبعد الممات

- والله أعلم-

وعلى كل حالٍ هذه اقتراحات لكي يكون الأب عادلاً بين الأولاد ليُبقي بينهم الود والوئام لا العداء والخصام، ولعلكم تملكون اقتراحات أخرى، لكن المهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالعدل بين أبنائنا ما استطعنا.

ونعود إلى الخطبة:

يا أبتِ!

شكراً-ثالثاً-

لأنك أعطيتني من وقتك الكثير لتلاطفني وتعطف علي وتحدثني وتسمعني فإن ذلك أثرّ في شخصيتي وسلامة تكويني، فأنا وإن كنت محتاجاً إلى المال حيناً لكنني محتاج إلى حنانك وعطفك أحياناً وأنا وإن كنت محتاجاً إلى النفقة مرة فأنا محتاج إلى أن أحدثك وتحدثني مراتٍ ومرات.

مَثَلُكَ يا أبي مَثَلُ سيدنا عبد الله بن عمر فقد كان له ولدٌ اسمه سالم، وكان يعطيه من حبه ورعايته واهتمامه ، وكبر سالم وصار عالماً كأبيه، وكّبُر حبُّ أبيه له، وربما رآه فقبَّله وقال: شيخٌ يُقَبِّلُ شيخاً..... ومرة أنشد فقال:

يلومونني في سالمٍ وألومهم وجِلْدَةُ ما بين العين والأنف سالمُ

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ((ما رأيت أحداً أرحمَ بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إبراهيم – ابنه– مُسْتَرْضَعا في عوالي المدينة، وكان ينطلق ونحن معه ، فيدخل البيت ، وإنه لَيُدَّخَن وكان ظئرُه قَيْننا – حدادا– فيأخذه فيقبّله ، ثم يرجع)) [أخرجه مسلم]

يا أبتِ! شكراً–رابعاً–

لأنك علمتني من أمور الدنيا ما يعينني على النفقة على نفسي وعلى أهلي وشكراً أكثر لأنك أخذت بيدي إلى مجالس العلم والذكر والقرآن لتعلمني من أمور الدين ما أنجو به في الآخرة و أسعدُ به في الدنيا.

فلقد اجتمعت يا أبي مع رجال جاوزوا الأربعين إذا فتحوا القرآن ليقرؤوا فيه صحيفة أخطأوا فيها عشرين خطأً

واجتمعت مع شباب جاوزوا الثلاثين تراهم يعجبك منظرهم لكنهم لا يحسنون وضوءاً ولا صلاة وهم مسلمون أبناء مسلمين....

واجتمعت مع آخرين هم فوق العشرين لا يعلمون من أمر الحلال والحرام شيئاً في علاقاتهم مع الفتيات...

ولو أنك تركتني يا أبي بدون مجالس علمٍ أو ذكر أو قرآن لكنتُ مثلهم وربما أسوأ حالاً منهم.

يا أبتِ!شكراً– خامساً–

لأنك أدبتني ولم تتركني للطرقات والفضائيات فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**ما نَحل والدٌ ولدَه نُحْلاً أفضل من أدب حسن**)) [الترمذي وأحمد]

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

وقد قيل الأدب من الآباء والصلاح من الله .

ختاماً: يا أبتِ!

لو بذلت لك ماء عيني وشرايين قلبي وكلَّ ما ملكت يدي لم أوفيك حقك..

كيف وأنت وصية الله عندي عندما قال لي:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾ الأحقاف15

وإني لأرجو أن ترضى علي

التوقيع : ابنك المحب

خطبة الجمعة 12/12/2008 الخطبة السادسة من سلسة ((أسرتي)) في مسجد دك الباب